سليمان عليه السلام ملكا

الدكتور عبد السلام محمود الدهبي





قــال تعــالى :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون · حتي اذا اتوا على وادي النمــل قالت نملة يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون · فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى أن أشكر نعمتــك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »(١) ·

لقــد كان سليمان عليه السلام نبيا مرسلا كما شهد بذلك القرآن الكريم فهو واحــد من الانبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم حتى وجب على كل مسلم أن يقر له بالنبوة حيث قــام الدليل على نبــوته ·

ولقــد ورد ذكر سيدنا سليمان عليه السلام فى كثير من مواضع القرآن الكريم التى عنيت بذكر أسماء النبين والمرسلين اعلاء لشانهم وحثا على التاسى بهم وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الأنعام :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم · ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هــدينا ونوحا هــدينا من قبل ومن ذريتــه داود وسليمان وأيوب ويوســف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخــوانهم واجتبيناهم وهــديناهم الى صراط مستقيم · ذلك هــدى الله يهــدى به من يشــاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون · أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسو بها بكافرين · اولئك الذين هــدى الله فبهداهم اقتده · قل لا أسالكم عليه أجرا أن هــو الا ذكرى للعــالمين »(٢) ·

---

(١) الآية ١٨ وما بعــدها من سورة النمل ·
(٢) الآيات من ٨٣ الى ٩٠ من سورة الأنعام ·

فنبوة سليمان عليه السلام ثابته بنص القرآن الكريم •

لكن سليمان عليه السلام وان كان نبيا فانه مع ذلك ملك •

ولقد ورث الملك من ابيه سيدنا داود عليه السلام فهو ملك وابن ملك ونبي وابن نبي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

وللملك مظاهره وله خواصه • فكيف كان ملك سليمان عليه السلام ؟ لا شك ان ملكه لابد وأن يكون عظيما بقدر عظمته • وحينما يتعرض الباحث للكشف عن تلك العظمة فانه يطالع القرآن الكريم وهو يصورها ابدع تصوير فى تلكم الآيات السابقة •

فلئن كان الناس قد تعارفوا على انه لابد وأن يكون للملك جيش فانهم ولا شك أيضا قد عرفوا أن قوام جيوش الملك سابقا ولاحقا انما هو الانسان ، فعلى قدر كثرة عدد الجيش وبمقدار حذق ومهارة افراده قادة وجنودا تكون منزلة ذلك الجيش بين الجيوش •

أجل ان الانسان هو سيد الجيوش فعلى يديه يكون النصر ان استكمل مقوماته ، وأحيانا يجر الهزيمة ويجلب العار على وطنه ان تدخل فيما لا علم له به • أو لم يضع نفسه فى المكانة اللائقة به •

هذا هو شان الجيوش قديما وحديثا • لكن القرآن الكريم حينما يتحدث عن جيش سليمان عليه السلام يفاجيء المخاطبين بذلك الحشد الذى لم يسبق له مثيل وذلك الجمع الذى لم يتحقق لأحد من قبل • ولن يتحقق لأحد من بعد •

ان جيش سليمان عليه السلام ليس العنصر الرئيسى فيه هو الانسان • وان كان أحد عناصره ، لكنه يضم الى الانسان صنفين آخرين هما الجن والطير •

نعم الجن والطير عنصران جديدان فى جيش سليمان عليه السلام :

ويحق للباحث هنا ان يسال هل كان كل هـذه الاجناس مسخرة ومحشورة لسيدنا سليمان عليه السلام او ان بعضا من كل جنس كان هـو المسخر ؟

والذي يظهر للباحث ان المسخر من هـذه الأصناف انما هـو البعض منها فقط • يشهد بذلك اولا أنه من غير المعقول ان تجتمع كل هـذه الأصناف في مكان واحـد ، فأي مكان هـو ذلك المكان الذي يتسع لجميع خلق الله من كل تلك الأجناس •

واذا كانوا كلهم محشورين لـه ومسخرين لأمره فلماذا يجمعهم • لقـد أجابوا من قبل واستجابوا لأمره وليس هناك من فائدة لجمعهم •

لقـد قالوا ان ذلك الحشد كان في مسيرة لسليمان عليه السلام • فالى أين يسير ولمن يسير ؟ اذا كانت الخلائق كلها من تلك الأصناف قد جمعت لـه ؟

هـذه اجابة اجمالية فاذا ما رجعنا الى كل صنف على حـدة فان الباحث يجـد من الشواهد ما يدل على ان المحشور انما هـو بعض من تلك الأجناس • وها هم الانس الذين كانوا في حشد سليمان عليـه السلام ان سليمان عليه السلام لم يتجاوز ملكه ما يعرف الآن بفلسطين وسوريا ولبنان والعراق الى نهر دجلة(١) فهل كانت الارض كلها ما عدا هـذه الأمكنة خرابا غير مسكونة • ان العقل والنقل لا يصدقان ذلك فغير معقول ان تكون الأرض على سعتها قـد أقفرت من سكانها ولم يبـق منها الا من كان يسكن تلك الرقعة الضيقة التي لا تقارن بما بعـدها من أرض الله •

ثم أين سكان الحجاز ومصر وبلاد فارس وغير ذلك مما أثبت التاريخ أن أمما قـديمة كانت تسكن تلك الممالك ؟

وبعـد ذلك أين بلقيس وملكها ؟ لقـد جاء ذكر بلقيس في السورة

---

(١) أنظر ظلال القرآن في هـذا الموضع •

بعـد ذلك الحشر وما تبعه من حـديث الهدهد ، ألم تكن بلقيس وقومها من الانس ؟ انهم من الانس ولا ريب فى ذلك ، وعلى هـذا يستطيع الباحث أن يجزم بأن ما حشر لسليمان عليه السلام من الجند من بنى الانسان انما هـو بعضهم وفريق منهم .

واذا ما نظر الباحث الى الجن وجـد الأمر فيهم لا يختلف فى هـذه الناحية كثيرا عن الانس ــ فالمحشور انما هـو بعضهم .

يؤكد ذلك ما هـو معروف من أن ابليس واحـد منهم . يقول تعـالى :

« **واذ قلنا للملائكة اسجـدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه . أفتتخـذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عـدو بئس للظـالمين بدلا** »(١) .

وابليس وظيفته الغواية والوسوسة يقوم بهـا منذ ان طرد من الجنة ، ولقـد تعهد بذلك والزم نفسه به الى ان تقوم الساعة . فهل كان ابليس هـو الآخر احـد جيش سليمان عليه السلام . لو كان الامر كذلك لمـا كانت هناك حاجة الى جيوش .

فالعالم كله خير . وما كانت الجيوش وخاصة جيوش الأنبياء الا لمحاربة الشر والقضاء عليه ليشيع الخير بين الناس .

ولعل أمر الطير بعـد ما سبق من الحـديث عن الانس والجن غير عسير . فالطير التى خلقها الله أصنافا لا تعـد ولا تحصى وفى كل صنف يوجـد الآلاف المؤلفة من أفراد غير مقـدور على معرفتها . فكيف يتأتى لسيدنا سليمان عليه السلام أن يلحظ تخلف فرد واحـد من بين الملايين من ذلك النوع الذى هـو نوع من الأنواع الكثيرة التى لا يعلمها الا الله ؟ نعم أن الله قادر على ان يعلم سيدنا سليمان عليـه السلام بغياب طائر واحـد .

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الكهف .

لكن ذلك ان كان فهو ولا شك معجزة • والمعجزة تظهر عادة لتكون داعية للايمان • والحشد كله فى هــذا الموقف المحشود لسليمان من المؤمن به • •

بهــذا يظهر أن ما اجتمع لسيدنا سليمان عليه السلام انما هى نماذج من تلك الأجناس • وأن جمع هــذه الاجناس المختلفة لهو وحــده معجزة ثانية لهــذا النبى العظيم •

لقــد اجتمع الجيش وهم لا شك كثرة كثيرة • وهم بهــذا الشكل لابد أن يكون فيهم الضعيف والقوى فهم ليسوا سواء فى صــحتهم وحينما يعــذبهم السير فسيسبق الاقوياء ويتخلف الضعفاء •

فهل هــذا هو النظام ؟ لابد أن يكون النظام تاما فى كل الجماعات فما بالك بالجيوش ؟ ان النظام هو احــد أركانها الأساسية تقوم عليه وهــو سبب فى نصرها فهل شذ عنه جند سليمان ؟ غير معقول ذلك • اذن كيف كان الحال ؟ لقــد أجاب القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى :

(فهم يوزعــون) •

نعم يوزعون • والوزع الكف والمنع فان أوائلهم تكف وتمنع عن التقــدم فى المسير حتى تلحق بهم أواخرهم وحتى لا تختل صفوفهم ويذهب ترتيبهم •

وهنا يجــدر بالباحث أن يتأمل ذلك التوجيه الالهى ان القــوم فى كثرتهم محتاجون الى وزعة منهم يكفون اوائلهم عن السير حتى يلحق بهم الاواخر • وحينئذ يكون الجيش كله وحــدة واحــدة •

ان ذلك الهــدف يتأتى أيضا بسوق الأواخر وحثهم حتى يلحقــوا بالمقــدمة • لكن القرآن الكريم ينص على الــوزع ولا يذكر السوق ليكون ذلك تنبيها على الرفق بالضعفاء فهم أولى بالرحمة ولن يضير القــوى أن يأخــذ بيد الضعيف لكن ليس فى قــدرة العاجز مجاراة القــادر •

بقى بعـد ذلك سؤال مؤداه لمـاذا جمع ذلك الجمع العظيم •

يقول المفسرون : انه انما جمع لأجل أن يسير بهم سليمان عليه السلام لـملاقاة الأعـداء والجهاد فى سبيل الله ، ويرى آخرون أنه كان يسير بهم الى مكة والرأى الأول أولى بالقبول فانه اللائق بذلك الاستعداد الضخم والحشد العظيم •

سليمان عليهالسلام والنملة

لقـد سار سليمان عليه السلام بذلك الجند المجموع والجيش المحشور • سار بهم عليه الصلاة والسلام حتى أتوا وادى النمـل فأين ذلك الوادى يا ترى • لقـد اختلف فى تحـديد مكانه ، فهو واد بارض الشام كثير النمـل على ما روى عن قتادة ومقاتل ، وقال كعب : هـو وادى السدير من أرض الطائف ، وقيل : واد بأقصى اليمن وهـو معروف عند العرب مذكور فى أشعارها • وقيل هـو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم • وهـذا عندى ممـا لا يلتفت اليه أ•هـ آلوسى(١) •

ومهما كان الاختلاف فى تحـديد مكان ذلك الوادى فان المهم ليس معرفة المكان لكن الذى تتجه اليه همة الباحث هـو معرفـة ما جرى لسليمان عليه السلام فيه •

ولقـد جاء ذلك فى القران الكريم صريحا واضحا حينما ينطـق القرآن الكريم بأن نملة من النمل حـذرت قومها وخوفتهم من حطم سليمان عليه السلام وجنده لهم وهم لا يشعرون •

ان نص القران الكريم واضح لا يحتاج الى عناء فى فهمه والوقوف على مراميه لكن الباحث يجـد نفسه وهـو يطالع تفسير تلك الآية أمام حشد من الكلام لعـل أكثره ان لم يكن كله ينقصه الدليل • فأول ما يلفت النظر فى ذلك هـو ما ذكر عن اسم النملة ، (لقـد اختلفوا فى اسمها فقيل اسمها منذرة وقيل طاخية وقيل جرمى • وقيل غير ذلك) •

---

(١) ص ١٥٨ ج ١٩ آلوسى •

وانه ليحق للباحث ان يتساءل من أين عرف اسم تلك النمـلة ؟ انه من المقطوع به أن النمل لا يسمي بعضه بعضا ، وأيضا لا خلاف في أن النمل لا يتميز لدى بني الانسان فكيف يستطيع شخص لا يقـع تحت ملك الانسان مثل بعض الحيوانات كالخيل والكلاب . حتى يسمى البعض منها بأسماء خاصة بها .

هـذه هي الاحتمالات التي يمكن تصورها في التسمية وكلها كما ظهر لا يصلح فمن أين جاءت التسمية اذن ؟ ربما قال قائل ان تلك التسميه لم تكن من نوع علم الشخص بل انها كانت من اعلام الاجناس .

ولكن الرد عليه ميسور . فان علم الجنس لا يوضع لفرد معين . بل انه يوضع ليدل على أي فرد من ذلك النوع . مثل اسامة وثعالة . للأسـد والثعلب .

لم يبق بعـد ذلك من سبب يمكن ان تعزى اليه التسميه الا أن يقول قائل : ان الله سماها في التوراة أو نحوها من الكتب السماوية السابقة وعرفها الأنبياء من قبل . كما عرفها سليمان عليه السلام بعـد ذلك .

وانا لنطلب منه الدليل على هـذا النقل وعندئذ يقتنع الباحث بهـذه التسمية .

ولقـد قيل في التعليل لتسمية تلك النملة خاصه دون غيرها من أبناء جنسها ، قيل انها انما سميت بذلك لتميزها على غيرها بسرعة الفهم والنطـق .

ولنرجع الى النملة وقولها لنسأل هـل كان قولها قولا حقيقيا . كما في كلام الانسان . أم أنها صاحت صيحة تحـذير فهمها عنهـا أبناء جنسها فكان ذلك منها منزلا منزلة القول ؟

الى الأول ذهب بعض المفسرين . وعللوا كلامهم قائلين : ان ذلك ليس بغريب ولا بمستبعد على قـدرة الله ، فالله قادر على أن يخلق

فيها النطق ويخلق فى بنى جنسها الفهم • وما ذلك على الله بعزيز •

ويرى آخرون أن نطقها انما كان بلسان الحال ولم يكن نطقــا بلسان المقــال •

وانى لأرى ان ذلك الرأى هــو الراجح ، فلو أن النملة نطقت كما ينطق الانسان لفهم ذلك عنها كل من يصل نطقها اليه ، ولمــا كان فى ذلك مزية لسيدنا سليمان عليه السلام فى هــذا المقام ، اللهم الا أن يقال انه سمع ذلك القول من مكان بعيد لا تصل اليه الأصوات عــادة وتكون المعجزة لسليمان عليه السلام من هــذه الزاوية فقط وهــو السماع من مكان بعيد ، أما اذا كان حــديث النملة انما هــو بلغتها وكان فهم سليمان عليه السلام له • فهــذا هــو الأليق والأجــدر • فلقــد كان ممــا فضل الله سليمان عليه السلام هــو تعليمه منطــق الطير • ومنطق النمل لا يختلف عن منطق الطير فى الغرابة ان لم يكن هــو هــو •

وحينما تضم هاتان الخاصتان وهما فهم منطق النملة على خــلاف العادة ، والسماع من مكان بعيد على غير المــألوف يظهر فضل الله • على نبيه سليمان أكمل ما يكون •

وعلى هــذا فالقول بان النمله تحــدثت بحــديثها المعهود لدى جنسها يكون أو لى بالترجيح •

لقــد وضح الآن كيف كان حــديث النملة ، فمــا هــو نص الحــديث • لقــد قالت النملة كما نطق القرآن الكريم :

« قالت نملة يايها النمل ادخــلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون »•

وهنا أيضا ينبغى الوقوف وقفة لنتساءل من أين عرفت النمله أن القادم عليها هــو سليمان عليه السلام وجنــوده • ولم قالت وهم لا يشعرون ؟ • والجواب على ذلك أنه سبق أن سيدنا سليمان عليــه

السلام قد حشر له جنوده من الجن والانس والطير • فاصناف المخلوقات المذكورة قد سخرت لسليمان عليه السلام ، ومعنى تسخيرها له أنها ستنقاد لأمره ، اذن هي مامورة بطاعته • وما دام الامر كذلك فهي لا شك تعلم سيدها الذي تخضع له وتعمل حسب ارادته ، والا فكيف يتأتى منها الانقياد والطاعة لمن لا تعرفه اما قولها •

(وهم لا يشعرون) فان مقتضى ما سبق من انقيادها له عليه الصلاة والسلام أن تكون على معرفة بشخصه فهو سليمان عليه السلام كما يجب أن تكون على معرفة بوصفه فهو نبي من أنبياء الله •

وهو بهذا الوصف معصوم كبقيه اخوانه من الأنبياء من التعدى والظلم واذا وقع شيء من ذلك فلا يمكن ان يكون عمد لان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون ، ، انما مرد ذلك الى السهو وعدم العلم بوجود من وقع عليه الاعتداء في ذلك الزمان •

وفي مثل ذلك الموقف نجد الاحتراس في كتاب الله عز وجل وهو يتحدث عن أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما صدوا عن دخول مكة عام الحديبية وكادت تقع الحرب بينهم وبين أهل مكة قبل ان يتم الصلح • يقول الله عز وجل في ذلك :

« هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما »(١) •

فكما كانت النملة حريصة على الثناء على جند سليمان والتنبيه على أنهم لا يقع منهم حطم الا اذا كان ذلك على غير علم منهم • فكذلك كان ثناء القرآن الكريم على صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم • والاعلام بانهم لا يتأتى منهم ايذاء المؤمن الا اذا كان ذلك غير

---

(١) الآية رقم ٢٥ من سورة الفتح •

مقصود ودون معرفة منهم • لكن المثنى على جند سليمان انما هى النملة • والمثنى على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الله عز وجل • وفى ذلك تشريف واعلاء لمقام النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه •

ويعقب الاستاذ الشيخ سيد قطب على هذه الحادثة فيقول : (ونقف هنا امام خارقتين لا خارقة واحدة • خارقه ادراك سليمان لتحذير النمله لقومها • وخارقة ادراك النملة أن هذا سليمان وجنوده • فأما الأولى فهى مما علمه الله لسليمان • وسليمان انسان ونبى • والأمر بالقياس اليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية فى مقالة النملة • فقد تدرك النمله أن هؤلاء خلق أكبر وأنهم يحطمون النمل اذا داسوه • وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة • اما ان تدرك النملة ان هذه الشخوص هى سليمان وجنوده فتلك هى الخارقة الخاصة التى تخرج على المألوف • وتحسب فى عداد الخوارق فى مثل هذه الحال أ•هـ •

وبعد ما تقدم من حديث ربما يسأل سائل هل كان النمل على ما هو معروف عليه الآن من صغر الجسم • أو انه كان على هيئة أخرى فهو كالذئاب أو النعاج أو غير ذلك ؟

لقد قيل بكلا الرأيين ولكن النفس تميل الى الاول • فلو كان النمل فى صورة الذئاب او نحو ذلك لما كان هناك خوف عليه من الحطم • فهو بقوة جسمه فى حماية من دنت الحطم • اما اذا كان على حاله المعهود فهنا يتأتى امكان الحطم وتوجيه الداعيه الى أخذ الحذر • كما أنه مما هو معلوم ان الرياح كانت مسخرة لسيدنا سليمان عليه السلام يغدو بها ويروح • قال تعالى :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير »(١) •

---

(١) الآية ١٢ من سورة سبأ •

ولقد قيل فى بيان كيفيه تسيير الله سبحانه وتعالى الريح وروى فى ذلك روايات كثيرة .

فلقد قيل ان معسكره كان مائة فرسخ كما قيل ان له بساط من ذهب وابراهيم قد نسجته له الجن . وانه عليه الصلاة والسلام كان يضع فوق بساطه عسكره ولقد ذكر فى عددهم روايات وكلها تعد بعشرات او مئات الالاف . وأنه كان يحمل فوق البساط ازواجه وخدمه وكل ما يحتاج اليه ، ثم يأمر الريح فترفعه وتسير به الى حيث شاء .

وان الباحث ليطمئن الى ما جاء فى كتاب الله من تسخير الرياح لسليمان عليه السلام تجرى بامره رخاء حيث اصاب .

اما تلكم التفاصيل فان الباحث ليقول لمن جاء بها على الرغم من ان أكثر التفاسير ذكرتها ليقول لهم كما قال الله تعالى :

« هل عندكم من علم فتخرجوه لنا »(١) .

نعم ان الباحث لا يخضع الا للعلم ولا يثبت العلم الا بالدليل .

فهل من دليل يطمئن اليه العقل والقلب . اقول لقد استطردت بعض الشىء هنا فى ذكر الريح لانه ربما يقال : كيف خافت النمل من الحطم وسليمان انما يسير فوق الريح ولا يتصور حينئذ حطم ولا كسر ؟

والجواب : أنه ربما كانت تلك الحادثة قبل ان تسخر الريح لسليمان عليه الصلاة والسلام ، أو كانت بعدها ولكن سليمان عليه السلام كان يهم بالنزول بجنوده فى ذلك المكان فأحست بذلك النملة فحذرت بقيه ابناء جنسها والله أعلم بالصواب .

---

(١) الآية من ١٤٨ من سورة الأنعام .

ومما يلفت النظر والمجال ما زال عن النملة وشأنها مع سليمان عليه السلام ما ذكر بصدد البحث في كون تلك النملة ذكرا أو أنثى .

فلقد ذكر صاحب الكشاف في ذلك ما نصه (وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس ، فقال سلوا عما شئتم ، وكان أبو حنيفه رحمه الله تعالى حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نمله سليمان ، اكانت ذكرا أم أنثى (فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى) فقيل له من أين عرفت ؟ قال من كتاب الله وهو قوله : (قالت نملة) .

ولو كانت ذكرا لقال : قال نملة ، وذلك أن النمله مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم : حمامه ذكر وحمامه أنثى ، وهو وهي اه بنصه(١) .

ويعلق صاحب الانتصاف على ما ذكره الكشاف في تلك الواقعة فيقول : قال احمد : لا ادري العجب منه ام من ابي حنيفة ان يثبت ذلك عنه ، وذلك ان النمله كالحمامه والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى ، ولأنه اسم جنس يقال نمله ذكر ونملة انثى ، وكما يقولون ، حمامة ذكر وحمامه أنثى • وشاة ذكر وشاة انثى ، فلفظها مؤنث ومعناه محتمل ، فيمكن ان يؤنث لأجل لفظها وان كانت واقعه على ذكر ، بل هذا هو الفصيح المستعمل الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام (لا يضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء) كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثه ولا يعنى الاناث من الأنعام خاصة ، فحينئذ قوله تعالى :

(قالت نمله) روعى فيه تانيث اللفظ ، وأما المعنى فيحتمل على حد سواء ، وانما أطلت في هذا وان كان لا يتمشى عليه حكم لأنه نسبه الى الامام ابي حنيفه على بصيرته بالنحو ، ثم جعل هذا الجواب معجبا على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات • ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصونا اليه فبالله اتعجب العجاب • والله الموفق للصواب اه(٢) .

---

(١) ص ١٣٧ الكشاف ج ٣ .
(٢) ص ١٣٧ ج ٣ هامش الكشاف .

ولا يملك الباحث الا ان يوافق صاحب الانتصاف فيما ذهب اليه فالامام الاعظم وقتادة رضي الله عنهما اجل وأعلا قدراً من أن يقع منهما مثل ما ذكر لقد انتهى حديث النملة ٠

وما زال السامع يتطلع الى ما كان من سيدنا سليمان عليه السلام تعقيبا على مقاله النمل فيه هو وجنوده ٠

ولنستمع الى قول الله عز وجل حينما يحكى ما وقع من سيدنا سليمان عليه السلام ٠ يقول عز من قائل :

(فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك فى عبادك الصالحين) ٠

هكذا كان صنيع نبى الله عليه الصلاة والسلام ، لقد تبسم ضاحكا ، وحينما يلحظ الباحث هذا التركيب القرآنى ٠

لعله يسأل نفسه ، لماذا جمع بين التبسم والضحك ، وهل هما شيء واحد او شيئان متغايران ؟

لكن الامام الألوسي يتكفل بالاجابه حيث قال : قال ابن حجر التبسم مبادىء الضحك من غير صوت ، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى ، فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهه ، وكان من اهب الى اتحاد التبسم والضحك خص ذلك بما كان من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فان ضحكهم تبسم ، وقد قال البوصيرى فى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم ٠

سيد ضحكه التبسم والمشى الهوينا ونومه الاغفاء ٠

وروى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : (ما رايته صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا أى مقبلا على الضحك بكليته ، انما يبتسم ، آ ٠ هـ(١) ٠

(١) ص ١٦٤ ج ١٩ الالوسى ٠

وبناء على هـذا الفهم فى معنى كل من التبسم والضحك وكونهما مختلفين • يكون الجمع بينهما فى الآية معناه انه صلى الله عليه وسلم تجاوز حـد التبسم وشرع فى الضحك • أما اذا ما أخـذنا بالقول بان ضحك الأنبياء انما هـو التبسم • فيكون الجمع بينهما للتاكيد •

ثم بعـد ذلك ما زال هنك سؤال آخر يتردد وهـو ما سـبب ضحك سيدنا سليمان عليه السلام من ذلك •

ولقـد أجاب أبو حيان فى البحر وتابعه عليه غيره حيث قال • يحتمل ان يكون سبب الضحك اما فرحه بما ظهر من حاله وحال جنوده فى التقوى حتى عرفت ذلك النملة وهى تحـذر قومها ؛ واما سروره بنعمه الله عليه حيث أسمعه ذلك الصوت الخفى وفهمه معناه ؛ ويكون الباعث فى كلتا الحالتين انما هـو السرور ، وهكذا يكون الضحك عادة وقـد يكون لغير السرور كالاستهزاء والغضب ، ومنه قوله تعالى

« ان الذين أجـرموا كانوا من الذين آمنـوا يضـحكون »(١) ،

« فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون »(١) فلم يكن ضحك احد من الفريقين من الآخر مبعثه سروره به وحميد صنعه ، وانمـا كان الاستهزاء به وبما وقع لـه •

أما ثالث الاسباب التى قيل أنها كانت الباعث على ضحك سيدنا سليمان عليه السلام فقيل انه التعجب ، وذلك أن الانسان اذا رأى أمرا غريبا فانه يحمله على الضحك ، وهكذا كان حال سيدنا سليمان عليه السلام حينما سمع ما سمع من النمله وهى تحـدث قومها عنه وجنوده •

لقـد تبسم سليمان عليه السلام فرحا بما آتاه الله •

فماذا كان منه نظير نعمة الله عليه ، لقـد عرف نبى الله نعمه الله عليه وحق لـه ان يعرف ، والا فمن يتصور منه معرفه حق الله ان لم يكن ذلك ثابتا أول ما يثبت لأنبياء الله •

---

(١) الآية ٢٩ من سورة المطففين والآية ٣٤ من نفس السورة .

ومن عرف حق النعمة وجب عليه ان يؤدى شكرها وهنا نجد نبى الله سليمان عليه السلام يشرع فى ذلك • فياتي بثلاثة أشياء ، اثنان منها أسباب للآخرة والثالث انما هو نعيم الآخرة •

أما السببان فأولهما قوله

(رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) •

فقد تضرع الى الله بالدعاء وناداه بدون النداء القريب (ب) •

انه ينادى المولى جل وعلا باسم الرب والرب هو المربى •

ولا شك انه أقرب ما يكون ممن يربيه وأرحم به من كل من سواه •

ثم هو يطلب منه بعد ذلك أن يوزعه ، والوزع كما سبق هو الكف والمنع • ومعنى ذلك انه يطلب منه جل وعلا ان يكفه ويمنعه من كل شيء يحول بينه وبين شكره •

ولقد قيل أن معنى (أوزعنى) الهمنى واجعلنى بحيث لا أكف عن شكرك على نعمتك على ، ولا يكتفى سيدنا سليمان عليه السلام بذكر نعمة الله عليه وحده بل هو يذكر مع ذلك نعم الله على والديه ولا شك ان النعمة على الوالد نعمة على الابن ، فولادة الابن من ابوين شريفين فذلك ولا شك مفخرة له ونعمة عليه فما بالك اذا كان الاب نبيا وملكا ، والدعاء من هذه الناحية يكون فيه كثير فائدة للداعى •

أما اذا لاحظ الباحث فى قوله (وعلى والدى) أن الابن الصالح فيه نفع لوالديه ، وأن المولى جل وعلا حينما أخرج من ظهر سيدنا داود مثل سيدنا سليمان فلا شك أن الوالد هو الآخر منتفع بسبب ذلك الابن ، وفى هذا تعميم للدعاء •

أما ثانى الأسباب التى دعا بها نبى الله سليمان فهو توفيقه لأن يعمل عملا صالحا ينزل من الله منزلة القبول •

ولعل هـذا هو المراد من وصف العمل الصالح بالرضى .

وهو عليه السلام يعرف أن التوفيق للعمل الصالح انما هـو نعمة من الله وهبـه .

وما أظن أن عملا أفضل من النبوة .

ولقـد تقرر عند علماء التوحيد أنها هبة من الله والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ يقول صاحب الجوهرة .

ولم تكن نبـوة مكتسبة ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

وما دام التوفيق من الله ، فأولى بالعبد الشاكر أن يلح فى السؤال طلبا لذلك التوفيق .

ولقـد كان سليمان عليه السلام عبدا ونبيا شاكرا .

هـذان هما السببان اللذان طلبهما سيدنا سليمان عليه السلام فما هو المقصد يا ترى ؟ انه الآخرة ونعيمها فى جناتها التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

لذا جاء الختام فى دعاء سيدنا سليمان عليه السلام (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) .

نعم انه يطلب من ربه كما سبق أن ناداه يطلب منه أن يدخلـه برحمته فى عباده الصالحين .

وحينما يقيد الطلب برحمة الله فانه يعلمنا أن دخول الجنة انمـا هـو فضل من الله .

ولقـد ورد فى الحـديث (لن يدخل الجنة أحـدكم عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا انا الا أن يتغمدنى الله برحمته) .

ويقول صاحب الجوهرة فان يثبنا فبمحض الفضل وان يعـذب فبمحض العـدل .

ثم كيف يكون الدخول فى العباد الصالحين ؟

ان ذلك يتأتى بأن يحشر فى زمرتهم ويكتب اسمه مع أسمائهم • ويكون معهم حيث كانوا • فى جنة عرضها السموات والأرض •

بقى بعـد ذلك أن يقال : ان مقام الأنبياء فوق مقام الصالحين • فكيف يطلب سيدنا سليمان من ربه أن يجعله معهم •

كما ان سيدنا يوسف من قبل قـد طلب مثل ذلك حينمـا قال : (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)(١) •

فالجواب عن ذلك ما قيل من أن العبد الصالح حقيقة هـو الذى لا يفعل معصية ولا يهم بها •

وتلك منزلة عالية يطمع فيها الأنبياء والأولياء •

ويصور الاستاذ الشيخ سيد قطب هـذا الدعاء فى كتابه فى ظلال القرآن حيث يقول (أدرك سليمان هـذا فتبسم ضاحكا من قولها) •

وسرعان ما هزته هـذه المشاهدة وردت قلبه الى ربه الذى أنعم عليه بنعمه الخارقة • وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه ، واتجه الى ربه فى انابة يتوسل اليه :

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى » •

(رب) • بهـذا النداء القريب المباشر المتصل (أوزعنى) أجمعنى كلى • اجمع جوارحى ومشاعرى ولسانى وجنانى وخواطرى وخلجاتى ، وكلماتى وعباراتى وأعمالى وتوجهاتى • اجمعنى كلى ، اجمع طاقاتى كلها • اولها على اخرها ، وآخرها على أولها (وهـو المدلول اللغوى لكلمة أوزعنى) لتكون كلها فى شكر نعمتك على وعلى والدى • وهـذا التعبير يشى بنعمة الله التى مست قلب سليمان عليه السلام فى تلك اللحظة ، ويصور نوع تأثره ، وقـوة توجيهه ، وارتعاشة وجـدانه ، وهـو يستشعر فضل الله الجزيل ، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه ويحس مس النعمة والرحمة فى ارتياع وابتهال ٠٠ •

---

(١) الاية ١٠١ من سورة يوسف •